أقول: إن داعش لا يمكن إدراجها ضمن الفرق الكلامية؛ وذلك لأنها شأن الكثير من الجماعات المتطرفة تخلو من عنصر التنظير الفقهي والعقدي الذي يبرر أفعالهم، وقد وصفهم النبي بأنهم «كلاب النار».

❐❐❐

التطرف الديني والإبداع

لم تعد المعاجم اللغويّة والاصطلاحيّة عندها الجواب الكافي على معاني الألفاظ والمصطلحات ودلالاتها، فالمبدع والمبتدع كلاهما قد أتى بالجديد والمستحدث والطريف، وعليه لا يمكننا الحكم على الأعمال البديعة أو الأقوال المبدعة إلا استنادًا على المعاني الإجرائية في الواقع المعيش، تلك المعاني التي تستمد دلالتها من ما تحدثه الأعمال من أثر في المجتمع، فأعتقد أن الفارق بين المُبدِع والمبتدع شأن الخلاف بين الممتاز والمخالف، فإننا لا نقول أن هذا العمل وصل إلى درجة الإبداع إلا إذا كان متقنًا، ويحمل بين طيّاته الجِدّةَ والجودة، الأمر الذي يجعل المتلقي يستحسن ما فيه من فنّ وجمال، وعلى قريب من ذلك نجد الأعمال المقوّمة والناقدة والمستحدثة التي تشكل ثورة على المألوف، وهي - بطبيعة الحال - مفارقة للعقل الجمعي، أو إن شئت قل: صادمة له، ولكن ذلك لا ينقص من كونها إبداعًا؛ لما تتميّز به من دقة، وتتفرّد به من إتقان.

أما التطرف فيأتي من مردود الأعمال التي لا ترمي إلا للمخالفة وتقليد الغريب ونقض كل الثوابت دون هدف إصلاحيّ؛ فالدعوة للعريّ مثلاً في الأعمال الأدبيّة أو تعمّد إظهار الفحش والمجون في الأفلام وفي الأغاني وفي الصور والتماثيل؛ كل ذلك لا يعدّ إبداعًا، بل هو تطرّف و إفراط في

استخدام الحريّة؛ يؤدي حتمًا إلى تفريط وتطرّف مضاد؛ يريد الحجر على الفنون كافة، بل ويحرمّها.

وأعتقد أن للفن رسالة تكمن في الارتقاء بالأذواق وتهذيب الحسّ وتدعيم الأخلاق، وأنّ أي ثورة في هذا الإطار تكون محمودةً، وينبغي الدفاع عنها؛ فكلام طه حسين أو علي عبد الرّازق - على سبيل المثال - لا يمكن إدراجه ضمن الإبداع من جهة، ولا الأعمال الشاذة الرّامية لإشعال نار الخلاف في المجتمع من جهة أخرى؛ فقول طه حسين أنّ قصة بناء الكعبة وإسماعيل في القرآن لا تكفي لتكون دليلاً في سياق العلم، فهو قول قد استمده من منهج ديكارت من جهة، ومن كتابات المستشرقين ومنهم مارجليوث من جهة أخرى[1]، فالمقصود الذي صّرح به الكاتب: أن القرآن كتاب لا يمكن الشك فيه عند المسلمين، ولكن ميدان العلم يجمع بين المسلم وغير المسلم، وعلى ذلك: فإن حجيّة القرآن لا تكون مطلقة في هذا السياق.

أما علي عبد الرازق فقد ذكر ضرورة فصل الدين عن سياسة الدولة، وأن الخلافة مجرد شكل من أشكال نظم الحكم، وهو في هذا لم يكن مبدعًا ولا مبتدعًا، فقد ذهب أصحاب جماعة الاتحاد والترقي الطورانيّة منذ عام 1255هـ إلى مثل ذلك، ثم مقالات عبد الحميد الزهراوي ومحمد حسين هيكل والكماليين قد نزعت جميعها إلى نفس المنزع، غير أن الجمهور قد هاج وماج على الكتابين بدافع الخلافات السياسيّة بين القصر وحزب الوفد والأزهر من جهة، وحزب الأحرار الدستوريّين من جهة أخرى.

(1) طه جابر العلواني: آداب الاختلاف في الإسلام، انترناشيونال جرافيك للطباعة، الولايات المتحدة، 1987.

أما ما نجده الآن من اعتراضات على بعض القصص والروايات والأعمال التليفزيونية والسينمائية وحملات التكفير وفتوى التحريم، كل ذلك لا أعده في سياق نقد الأعمال المبدعة أو الغيرة على الثوابت الأخلاقية؛ وذلك لأننا نعيش في عالمنا العربيّ في طور من العبثيّة والفوضى والعشوائيّة، والإبداع - بطبيعة الحال - أبعد ما يكون عن ما نحن فيه.

ومن أشكال التطرّف أيضًا القراءات والتأويلات؛ فقد كُفِّر نزار قباني؛ لأنه استعار صورة المرأة وجعل منها رمزًا لهموم الأمة وقضاياها، ووسمت أمّ كلثوم بالعهر؛ لأنها غنّت قصائد الحبّ والعشق، وكاد نجيب محفوظ أن يُقتَل؛ لأنه كتب قصة «أولاد حارتنا»، وصودِرَ كتاب «ألف ليلة وليلة»؛ لأنه يروي بين ما يروي ما كان يحدث في المخادع.

أقول: يجب التفريق بين الأعمال الفنيّة التي تقدّم رؤية وإن اختلفنا معها، والأعمال الأدبية الفنيّة الشاغرة من الأدب والفن، فالأولى يجب التعامل معها بالنقد، والثانية بمعايير جودة الفنّ وبالقانون الذي يحافظ على أخلاق المجتمع.

□□□

أيدلوجيا العنف والتطرف الديني

إن مسألة تأويل الآيات وتوجيه الأحاديث ليست بجديدة على ثقافة الفرق، فقديمًا - وتحديدًا منذ الفتنة الكبرى - أخذ الخوارج والشيعة والمجسّمة والسبئيّة والكرّاميّة وغيرها يؤولون ويتبادلون الاتهامات، وفي الفكر الإسلامي الحديث نجد محمد بن عبد الوهّاب وابن عثيمين وابن باز